حركة الأمير خالد الجزائري 1919-1923

العناصر:

1-ترجمة الأمير خالد الهاشمي

2- مشاركة الأمير في الانتخابات .

3- برنامجه الإصلاحي .

4-عريضة الامير خالد لمؤتمر الصلح 1919.

5-ملامح النضال الوطني بعهد نهاية الحرب العالمية الاولى .

6- نفي الأمير و متابعة نشاطه خارج الجزائر .

1-ترجمته:

هو خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر، الذي اشتهر بلقب" الأمير خالد" ولد بدمشق في 20 فبراير 1875 . حيث قضى جزءا من شبابه ، رحل مع والده إلى الجزائر في عام 1892. وقد أرسل على نفقة الحكومة الفرنسية إلى ثانوية "لويس لوقران" في باريس ، ثم التحق بكليــة"سان سير" saint syr الحربية في عام 1893.وعاد إلى الجزائر في عام 1895. قبل إتمام دراسته. وأشارت بعض التقارير السرية انه كان سيء الطوية والنوايا إزاء فرنسا. التحق ثانية بالكلية الحربية ليتخرج برتبة "ملازم" في الجيش، وأدى واجباته العسكرية في المغرب عام 1907 ورقي إلى رتبة "قبطان" في سنة 1908. واعتبره المشير" ليوتي" انه "عنصر شغب واضطراب"، وبين سنتي 1913- 1919 يبرز كأهم شخصية في حركة الشبان الجزائريين ، تطوع للخدمة العسكرية في الحرب العالمية الأولى ليعود إلى الجزائر في عام 1915 ليحال على التقاعد في سنة 1919، ليبدأ حياته السياسية الثانية بين (1919 و1925) في نضال عنيد وشجاع يدافع عن بني قومه مـن الأهالي التعساء ضد التعسف الاستعماري وهيمنة المستوطنين.

2-مشاركة الأمير في الانتخابات :

خلال الفترة 1913 إلى 1919 برزت شخصية الأمير خالد كمحرك حقيقي للنشاط الوطني ضد الإدارة الاستعمارية، فقد كانت مشاركته في الحرب العالمية الأولى تطوعاً منه، وسيلة أيضا للاحتكاك بالأهالي المجندين اذ فضل ان يتولى لواء الصبايحية عوض فرقة أوربية، وفي نفس الوقت أبقى حبل الاتصال مع الشبان الجزائريين يجتمع بهم كلما أتيحت له الفرصة لذلك .

عندما انتهت الحرب العالمية الأولى في 1918م القى الأمير خالد بثقله في الحياة السياسية بشكل لافت وبعزيمة وإصرار عجيب، وعرف عنه جرأته في طرح القضايا السياسية والمطالبة بالمحقوق الأساسية لبني جلدته.

كان خالد يعلم ان الأغلبية الساحقة من الجزائريين يرفضون التجنيس و الاندماج الكلي في المنظومة الاستعمارية على خلاف عكس ما تدعو له بعض عناصر النخبة الجزائرية المتغربة التي انضوت تحت زعامة الدكتور بن تهامي، وكان موقف الأمير هو الاستفادة من الجنسية الفرنسية دون التخلي على الأحوال الشخصية الإسلامية.ومن هنا ظهر جليا الانقسام في النخبة بين أنصار المساواة في ظل احترام الشخصية الإسلامية وبين النخبة المنسلخة من ذاتها الراغبة في ربط قاطرة الجزائر للابد مع الثقافة الفرنسية .

دخل الأمير معترك الانتخابات المحلية في ديسمبر 1919 و تمكن من الفوز على خصومه السياسيين من دعاة التجنس و الاندماج الشامل، و كان الأمير خلال حملته الانتخابية يطلب من الجزائريين التصويت على قائمة المترشحين لنزهاء والممثلين الحقيقيين لمطالبهم.

تحصلت النخبة الوطنية بزعامة خالد والحاج موسى على 940 صوتاً في حين لم تتحصل النخبة الاندماجية إلا على 340 صوتاً . ويعد انتصار خالد في الانتخابات ضربة موجعة لمشروع ابن التهامي الاندماجي من جهة ومن جهة أخرى دعما لأنصار الشخصية الإسلامية الجزائرية.

والجدول التالي يوضح عدد الأصوات الفائزة لكل قائمة :

الاتجاه الإصلاحي	عدد الأصوات	نوعية المجالس المنتخبة	عدد الأصوات	الاتجاه الاندماجي
جماعة الأمير خالد	925	المجلس البلدي	332	جماعة بن التهامي
	2505	المجلس العمالي	256	
	7000	المجلس المالي	2500	

كما اعتبر الدكتور سعد الله أن هذه الانتخابات كانت فرصة ثمينة بالنسبة للجزائريين الذين جعلوا من الصندوق وسيلة هامة للتعبير عما يجيش في صدورهم رغم أن إصلاحات فبراير 1919 قد قيدت القسم الانتخابي للجزائريين. ومما لاشك فيه أن قدرة الجزائريين على المناورة و اختيار أهم القوائم في هذه الانتخابات جاءت نتيجة لإسهامات الأمير خالد خلال حملته الانتخابية، التي استوحاها من المرجعية التاريخية للجزائر وتاريخها ولمكانة اسرته وخصوصيات الشعب الجزائري، إذ كثيراً ما كان يذكرهم وقتها بكفاح جده الأمير عبد القادر ضد الغزاة.

وإذا كانت صراحة الأمير خالد قد جلبت له الكثير من المتاعب من قبل دعاة الاندماج والإدارة الفرنسية، فإن النفس الطويل الذي كان يتمتع به خالد أهله من جديد لربح انتخابات 9جانفي1921، و كان برنامجه السياسي و الاجتماعي مماثلاً لانتخابات 1919 الذي فاز به في بداية عمله السياسي.

3- برنامجه الإصلاحي :

يبدو أن العمل السياسي الذي خاضه الأمير خالد بعد نهاية الحرب العالمية الأولى لم يكن وليد الصدفة، بل يعد تسلسل منطقي لرسالة الجهاد التي بادر بها الأمير عبد القادر منذ بداية الاحتلال، و قد أشار الأمير خالد إلى ذلك في العديد من المناسبات. و قد أبرز ذلك في جريدة الأقدام بقوله : " إن أجدادنا قد أضرموها حربا حامية الوطيس مدى 15سنة و أزيد، و لم يكن النصر حليفهم، و لكن تقدير بطولتهم و شجاعتهم و شهامتهم حق ثابت لا ينبغي أن ينكره المنتصرون علينا كما لا ينبغي لي أنا حفيد الأمير عبد القادر أن أسكت عنه مثلما فعل كثير من المنتخبين" . لقد أصبح الأمير خالد في نظر فرنسا من المدافعين على التعصب الديني ومن الدين يشكلون خطرا كبيرا على مصلحة فرنسا في الجزائر، بل وفي العالم الخارجي أيضا.

كان الأمير خالد دوما يقف إلى جانب الجزائريين، و قد تألم لحالتهم التعسة تحت نير سياسة الاستعمار، و قد أشار إلى ذلك في الكثير من المناسبات، وكشف عن سياسة الاستغلال التي يعانيها الشعب الجزائري، الذي كان بمثابة العبيد لخدمة الكولون ، كما أوضح الأمير أن الإدارة الاستعمارية لا يهمها سوى سن القوانين الزجرية، و أن هناك تفاوتا طبقيا ملحوظا و قد أشار الأمير خالد إلى ذكر في جريدة الأقدام تحت عنوان"القانون الأهلي والتموين" بقوله :"لقد جددت الحكومة قانون القوات الزاجرة و النفي في برهة إحدى و عشرين ساعة بدون مباحثة ولا معارضة و لا استفهام .

ويواصل الأمير خالد في تبيان الحسرة والألم الذي أهاله نتيجة الظلم الذي يفرضه الاستعمار في غياب ادنى ملامح العدل والمساواة إلى أن يقول (فمن تجول نوعا ما في الدواخل يرى ما يفطح الكبد من زمرة التعساء، وصفر الوجوه نحلاء الأجسام، ومع هذا لا يعطوهم إلا القوانين الزاجرة) .

وحتى يتسنى للأمير إنجاح مهامه، والرد على خصومه السياسيين أنشا **جريدة الإقدام** سنة 1919، لتكون لسان حال حركته السياسية، وبالخصوص بعدما انسحب من زمرة ابن التهامي وجماعته. وقد كتب محمد ناصر حول أهمية الجريدة في ذلك الوقت العصيب من عمر الحركة الوطنية بقوله:(وراحت الإقدام تعرب عن اتجاهها الوطني الواضح رافضة التجنس رفضاً قاطعاً مطالبة بتمثيل الأهالي الجزائريين بالبرلمان الفرنسي ومقاومة نزعة الكولون العنصرية...

اتضحت مطالب الأمير السياسية ما بين1919-1922، ونادى ببرنامج إصلاحي قائم على فكرة المساواة وتمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي وربط الحصول على الجنسية الفرنسية بالابقاء على الأحوال الشخصية الإسلامية للجزائريين، كما كان برنامجه السياسي مستوحى من ثوابت الامة الجزائرية متمثلة في الإسلام والعربية والوطنية ، ولذلك فلا غرابة أن نجد الأمير يربط في عمله بين جانبي الدين والوطن، بل

اعتبر أن صمود الجزائريين في وجه الاحتلال واستماتتهم في المقاومة مردها إلى المقوم الديني الذي ضمن بقاء الشخصية الإسلامية عبر العصور التاريخية.

4-عريضة الأمير خالد لمؤتمر الصلح 1919:

ان الملفت حقا في نضاله الوطني ودفاعه المستميت عن قضايا شعبه ،محاولته إعطاء بعدا دوليا للقضية الجزائرية للمرة الاولى منذ الاحتلال ، من خلال انتهاز فرصة انعقاد مؤتمر الصلح بباريس ، فقد استطاع ربط علاقات مع الامريكيين بما فيهم الرئيس ولسون الذي سلمه عريضة شملت مطالب الجزائريين من مؤتمر الصلح في 1919(انظر نص العريضة في الملحق). و حسب الرسالة التي تلقاها الأمير خالد و الممضاة من كاتب سر الرئيس عن طريق الملازم جورج ب نوبل، فإن مطالب الأمير قد أوصلت إلى صاحبها، إذ أشار إلى ذلك بقوله: "إنني أكتب إليكم لأعترف باستلامي العريضة المقدمة من قبل ممثلي عرب الجزائر الخمسة، و هذه العريضة التي أرسلت إلي من قبلكم بواسطة الملازم نوبل، إني سأكون سعيداً أن ألفت إليها نظر الرئيس" .

كانت المذكرة او العريضة التي قدمها الأمير شاملة لقضايا ومشاغل الجزائريين ومعاناتهم في ظل الغطرسة الاستعمارية. إذ شرح من خلالها عدم شرعية الاحتلال وكشف عن الإجرام الفرنسي في حق الجزائريين العزل، كما أوضح الأمير للمؤتمر خروقات الفرنسيين لمعاهدة 5 جويلية 1830، ووقف عند الأسباب الحقيقية للاحتلال و بين نتائجه الوخيمة على وضعية الجزائريين. وأنه حان الأوان للاعتراف بالمطالب المشروعة للجزائريين والاحتكام للشرعية الدولية.وحق تقرير المصير تحت وصاية **عصبة الأمم**.

5-ملامح النضال الوطني بعهد نهاية الحرب العالمية الأولى:

كانت حركة الأمير دعوة جديدة للإصلاح الاجتماعي و التكفل بقضايا الشباب الجزائري، والدفع بهم إلى الأخذ بالعلوم وكسب المعارف، والتخلي عن الرذيلة والآفات الاجتماعية ، ومن تم دعا إلى محاربة مظاهر الانحلال الخلقي وترك التردد على الحانات و أوكار الفساد، والتشبه بالغربيين. لأن ذلك لا يعني التمدن الحقيقي، و قد أشار إلى ذلك بقوله: "أيها الأولاد و أيتها الشبيبة شمروا على ساعد الكد و الجد، و تزاحموا على أبواب المكاتب و المدارس و الكليات لتجنوا من ثمرات العلوم ما يرفع به قدومكم بكم مسلكاً حسنا، ويحي ذكركم و أعلموا أنكم خلقتم للعلم و العمل لا للجهل و الكسل، و لا تسارعوا لأبواب الحانات و محلات اللهو لأن ذلك يؤدي لما لا يرضي الله، و مخل للشرف و مذهب للعقل والحياء."

و مما سبق ذكره نجد أن الأمير قد دعا إلى العودة إلى العلم و العمل و الأخذ بالحركة الثقافية كمعبر ضروري لتحقيق التقدم، و إخراج المجتمع الجزائري من كابوس الاستعمار، و بذلك تتحقق الشخصية

الوطنية التي جعل منها الأمير الأرضية الصلبة لتحقيق كل مطمح جزائري، بل اعتبرها تكملة و امتدادا للشخصية العربية و الإسلامية و أن تحقق الجزء يبقى خدمة الكل شريطة صلة هذا الجزء بالكل، و يقصد به وحدة العالم العربي و الإسلامي و قد بين ذلك بقوله :" سادت العرب بالإسلام الذي كان الوسيلة العظمى لجمع كلمتهم و تعاضدهم و تعاونهم على البر و التقوى ، فمع قلة عددهم جالوا في الآفاق و نشروا العلوم و المعارف و التمدن الديني و الدنيوي، و ما نجحوا إلا لقوة إيمانهم و صدقهم و إخلاص نيتهم، و حماستهم و عدلهم و عفتهم، و حبهم الخير لجميع المخلوقات، و إنقاذ الأمم من ظلمات الجهل بنور الإسلام ."

هكذا إذا راهن الأمير على عنصر الشباب و الثقافة لخدمة الحركة الوطنية الجزائرية، وطعم جهوده لإنجاح ذلك بتشجيع الفنون المختلفة كالمسرح و نحوه لهز النفوس ويبعث فيها روح الأمل، و يعود أليه الفضل في ظهور المسرح الجزائري المعاصر .

أثمرت جهود الأمير خالد قد في سنواتها الأولى، وأصبحت بادية للعيان، بعد أن ناصره الكثير من رجال الفكر والثقافة، وباركوا جهوده الإصلاحية التي أدخلت تعبيرا جذريا في مطالب النخبة الجزائرية. وكانت دعوة الأمير للتضامن الوطني جعلته يفكر في تعميق حركته إلى كل الشرائح الاجتماعية، وأسس في 23 جانفي 1922 جمعية الاخوة الجزائرية مع نخبة من المثقفين الجزائريين من بينهم القائد حمود، و زهير بن سماية، و يوسفي حميدة، و غيرهم ممن خدموا النخبة الوطنية مع بداية القرن. وقد أطلق سعد الله على هذه الجمعية بجمعية المؤاخاة الإسلامية وجدت لخدمة القضايا السياسية والاجتماعية و الثقافية والمطالبة بإلغاء القوانين الفرنسية الجائرة مع إشراك الأهالي في التمثيل النيابي، و تطبيق المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين بحسب ما نصت علية القوانين الفرنسية.

تعد سنة 1922 بحق سنة تالق للأمير خالد حيث تمكن من مقابلة رئيس الجمهورية الفرنسية **الكسندر ميلران** الذي زار الجزائر في ربيع 1922م، وكان اللقاء بمسجد سيدي عبد الرحمان بالعاصمة، وقد ألقى الأمير خطاباً هاما باسم جميع الجزائريين. وقد ذكر الأمير من جديد الرئيس الفرنسي بأن الجزائريين وقفوا إلى جانب فرنسا في محنها، وهم يطالبون في الحال، بالحريات المدنية من فرنسا و السماح لها بالارتقاء في المناصب، و أن يكون لهم تمثيل نيابي في المجلس الوطني الفرنسي، و قد ركز الأمير في مطالبه على فكرة التعويض، و أنها حق جزائري مشروع، و من تم اعتبر البعض أن مطالبه ربطت بين لغة الترهيب و الترغيب. و أن قلوب الجزائريين لا تزال بعد متجهة نحو فرنسا .

6- نفي الأمير و متابعة نشاطه خارج الجزائر:

لا شك أن نشاطات الأمير الوطنية المميزة جلبت له الخصوم اذ اعترضته صعوبات جمة في نشاطاته من طرف الإدارة الاستعمارية، غير ان ما حز في نفسه هو دخول خصومه السياسيين من الجزائريين في

نفس النهج الاستعماري في التضييق عليه ومحاولة تشويهه والحط من قدره، يقودهم كل من بن التهامي، ووليد عيسى و بوضربة و محمد صوالح. وقد عارض هؤلاء برنامج الأمير الذي كشف خططهم الداعية لسياسة الاندماج والتجنس.

وكان لتضييق الخناق على حركة الأمير من قبل الإدارة الفرنسية أثره الواضح على تقديم استقالته من عضوية المجالس المنتخبة في ربيع 1921 وكتب في ذلك رسالة إلى شيخ بلدية الجزائر العاصمة ذكره فيها بالدوافع الحقيقية لتخليه عن المسؤولية التي أوكلها له الشعب الجزائري بقوله:" ليس هناك سبب خاص يدفعني إلى التخلي عن النيابة التي منحتني إياها ثقة شعب الجزائري المسلم، وإني أردت بانسحابي من المجلسين أن أستعيد حريتي ."

واضطر الأمير إلى الانسحاب من الساحة السياسية في أفريل 1923 و أعلن أنه سيتوجه إلى سوريا، بعد ما عاش مضايقات السلطة الفرنسية و أعوانها من الجزائريين المتجنسين، و يذكر شارل روبير أجيرون أن الأمير كشف عن ذلك الجو المشحون بتوتر و قلق في رسالة بعث بها لأحد أصحابه في صائفة 1923 إذ يقول فيها:" أننا لا نستطيع أن نعيش في الجزائر حيث أن الحياة لا تطاق بالنسبة إلى، إنني انسحب إلى بلد أكثر هدوءاً ".

و مهما يكن من أمر، فإن انسحاب الأمير من الحياة السياسية لم يكن برغبة منه، بل أرغمته الظروف على ذلك الفعل، و أن ذلك الإجراء حضرته الدوائر السياسية في باريس مع وزارة ريمون بوانكري و اشرف على تنفيذه ستيق الحاكم العام في الجزائر.

وقد ارتسمت معالم العمل الوطني في فرنسا بهجرة الأمير خالد إليها منذ 1923، وفي جويلية 1924 عقد الأمير مؤتمرين في باريس تحت رعاية الاتحاد العالمي وهو منظمة يسارية كانت تؤيد القضية الجزائرية. وخلالها استطاع خالد من تكوين لجنة من الجزائريين المناصرين له منهم الحاج عبد القادر، والحاج مصالي، وعبد العزيز منور وعلي الحمامي و أحمد بهلول و بانون أكلي، وكلفت هذه اللجنة بمهام الإشراف على عمال المغرب العربي و تنظيمهم في شكل هيئة اتحادية المغاربة.

و في 7 ديسمبر من نفس السنة ترأس الأمير مؤتمر عمال شمال إفريقيا الذي ضم ممثلين عن خمسة و سبعين ألف عامل، و خلال التجمع عبر المؤتمرون عن تضامنهم عن طريق برقيات التأييد لحركات المتحرر في كل من الجزائر، و المغرب الأقصى، و مصر و تونس.

ولعل أهم نتيجة خلص إليها الأمير من خلال التجمعات العمالية التي عقدها في باريس هو الوصول بهم إلى تأسيس جمعية سياسية بعنوان "نجم الشمال الإفريقي" الذي أصبح رئيساً شرفياً لها. كما أصدر النجميون سنة 1927 جريدتين باسم الإقدام الباريسي. والإقدام الشمال الإفريقي وهي امتداد لجريدة الإقدام التي عطلتها فرنسا في الجزائر سنة 1923.

7-منفاه الأخير بدمشق ووفاته 1936:

على اثر النشاط الدؤوب والوطني ورؤيته المغاربية لقضية النضال توجست السلطات الفرنسية من تصاعد نشاطاته، فقامت بطرده الى سوريا حيث توجد العائلة الكبيرة منذ امد طويل، وتوفي الامير خالد في 1936 ورثاه الجزائريون وكتبت الصحف المقالات الطوال حول وفاته وتذكيرا بخصاله كاب حقيقي للوطنية الجزائرية .